

هل بدد أ الأمير بن سلمان في تنفيذ تهديداته بنقل الحرب إلى العمق الإيراني بالنظر إلى الهجوم الدموي في الأهواز؟



ولماذا نجزم أن "التغريدة" الإماراتية التي "تشرعه" رسالة يجب أخذها وما خلفها بكل جدية؟ وكيف سيكون الرد إذا حدث فعلاً؟

عبد الباري عطوان

عندما يصرف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إيران بأنها تقف خلف معظم، إن لم يكن جميع، الهجمات الإرهابية في العالم، ويتعهد همد الأمير محمد بن سلمان، ولي العهد السعودي، قبل عام بأنه لن ينتظر حتى تصبح المعركة مع إيران على الأرض السعودية، وسيصدرها إلى عمقها، وتؤكد دولة الاحتلال الإسرائيلي بأنها ستواصل غاراتها في العمق السوري لمنع إيران وأذرعها العسكرية من إقامة قواعد صاروخية فيه، فإن الهجوم الدموي الذي استهدف عرضاً عسكرياً إيرانياً يوم السبت في الأهواز، جنوب غرب البلاد، وأسفر عن مقتل 29 شخصاً بينهم أطفال ونساء ليس مفاجئاً، بل نعتقد أنه جاء متأخراً، وأن هجمات أخرى ربما تكون أكثر دموية في الطريق، فالمنطقة تقف على أعتاب حرب استخبارية إرهابية غير مسبقة ومدمرة لجميع أطرافها.

الرئيس ترامب يفرض حصاراً اقتصادياً خانقاً على إيران ربما يبلغ ذروته في تشرين ثاني (نوفمبر) المقبل عندما يبدأ تطبيق الشق الأهم منه، أي حظر تصدير النفط، والهدف الأساسي هو إنهاك النظام الإيراني، وزعزعة استقراره كمقدمة لتغييره عسكرياً في

نَهايةَ المَطافِ، وَعَلاَمَتنا الذَّجَارِبَ أَنَّ دُرُوبَ أمريكا فِي مِنطَقتنا لَيسَت فُجائِيةً،
وَإنَّما ثِمارُ سَوداءَ لاسِتراتِجِياتِ مَوضُوعَةٍ ومُتَّفَقَ عَلَيا وَتَتهَيأُ أسبابها مُنذ سَنواتِ.
الرئيسِ ترامبِ يُدركُ جَيدًا أَنَّ الحِصارَ الاقِصاديَّ لا يُمكنُ أَن ينجَحَ وحده في تَغييرِ أنظِمةِ، وإِلا
لَسَقَطَ النِّظامُ الكوريُّ الشَماليُّ، وَقَبِلَه النِّظامُ الكوبيُّ، وَقَبِلَ الاثنَينِ النِّظامَ العِراقيَّ
بِقِيادةِ الرئيسِ صدامِ حَسينِ، وَحُكُومَةَ حَركةِ "حاماس" فِي قِطاعِ غَزَّةِ، فَالحِصاراتِ التي لا تَتلوها أَعمالُ
تَدخُّلِ عَسَكريِّ تُعطي نَتائِجَ عَكِسيَّةَ، وَلهَذا بَدَأَ التَّخَطِيطَ لِإِقامَةِ "ناتو" عَربيٍّ ضِدَّ إِيْرانِ يَمَضمُ
الدُّوَلِ الخَلِجِيةَ السَّيْتِ، عَلاوَةَ عَلى مِصرِ والأُردنِ والمَغربِ، اسْتِعدادًا لِهَذا التَّدخُّلِ إِذا
ما تَقَرَّرَ، وَالغاراتِ الجَويَّةِ وَالصاروخِيةِ الإِسْرائِليَّةِ فِي العُمُقِ السُوريِّ أَحدَ فُصولِهِ.

إِيرانُ دَولَةٌ قَويَّةٌ، تَمَلُكُ مَشرُوعًا اسِتراتِجِيا، تُريدُ تَعزيزَه بِقُدرةِ عَسَكريَّةِ مَحليَّةِ
وَإِقليمِيةِ نُواتها فُدرَةَ صاروخِيةِ قادِرَةَ عَلى حَسمِ الأُمُورِ عَلى الأَرْضِ، وَتَفرِغِ الهَيمَنَةِ
الجَويَّةِ الغَربيَّةِ مِن أَقوى أسلِحَتِها، أَي فِرْضِ الرُّعبِ، وَبالتَّالِيِ الاسْتِسلامَ عَلى الطَّرفِ الأَخرِ
مُبَكِّرًا، وَانْتَقَلتِ مِن تَصدِيرِ الثَّورَةِ، إِلى تَصدِيرِ القُوَّةِ الصاروخِيةِ، وَالمِيلِيشِياتِ العَسَكريَّةِ
المُوازِيةِ، الأَمْرُ الذِي باتَ يُشَكِّكُ قَلبًا "وَجُودِيًّا" لِمُعْظَمِ حُصُومِها، وَخاصَّةً إِسْرائِيلَ
والمَمْلَكَةِ العَربيَّةِ السَعودِيةِ.

الأَميرُ مُحَمَّدُ بنِ سَلْمانِ، وَلِيُّ العَهدِ السَعوديِّ، وَالحَلِيفُ الأوثَقُ لِلرئيسِ ترامبِ فِي المِنطَقةِ،
وَالعَمُودُ الفِئْرَقيُّ لاسِتراتِجِيتِهِ فِي زَعزَعَةِ أَمْنِ واسْتِقرارِ إِيْرانِ مِنَ الدَاخلِ، ما كانَ سَيُدلِّي بِهَذِهِ
التَّصَرِّحاتِ قَبْلَ عَامِ التي هَدَّدَ فيها بِنَقلِ الحَربِ إِليها، لولا اطلَّاعِهِ عَلى الخُطَطِ الأَمْرِكيَّةِ
وَالإِسْرائِليَّةِ المُشْتَرَكَةِ لِتَغييرِ النِّظامِ الإِيْرانيِّ، وَمَراحِلِها المُتَعَدِّدَةِ، فَهَذِهِ هِيَ
المَمرَّةُ الأُولى فِي تَاريخِ الصِّراعِ السَعوديِّ الإِيْرانيِّ التي يَتَجَرَّأُ فِيها مَسْؤُولُ سَعوديٍّ عَلى
الحَدِيثِ عَلاَمَةً عَن "نوايا" بِتَثويرِ الأَقْليَّاتِ الطائِفيَّةِ وَالعِرقِيةِ فِي الدَّاخلِ الإِيْرانيِّ، فَجَمِيعُ
المُلُوكِ السَّعودِيينِ لَم يَجاهَروا مُطَلاقًا وَرَسميًّا بِالتَّدخُّلِ الرَسميِّ فِي دُوالِ أُخَرَ،
وَإِذا خَازَ زِمَامُ المُبادَرةِ بِنَقلِ الحَربِ إِليها إِلا فِي العَهدِ الحَاليِّ، مِثْلَما شَاهدنا فِي
اليَمَنِ، وَسَنُشَاهِدُ فِي إِيْرانِ.

مِن هَذا المُنطَلَقِ كانَ لَافِتًا أَنَّ الحَرسَ الثُوريَّ الإِيْرانيَّ الذِي أَصابته عَمليَّةُ الأَهوازِ هَذِهِ فِي
مَقْتَلِ، وَجَرَحاتِ كِبرِياتِهِ، فِي وَقتِ تَوالِيِ انتِصاراتِهِ وَحُلُفاؤِهِ المُباشِرةِ وَغَيرِ المُباشِرةِ فِي
العِراقِ وَسُورِيَةِ وَاليمَنِ، سارَعَ بِاتِّهَامِ "مَجمُوعَةِ انْفِصاليَّةِ" عَربيَّةِ تَدعِمْها المَمْلَكَةُ العَربيَّةِ
السَعودِيةِ بِالوُقُوفِ خَلْفِ هُجُومِ الأَهوازِ، وَتَوَعَّدَ بِانْتِقامِ حاسِمِ، وَكَرَّرَ التَّهديدَ نَفْسَهُ السَيِّدِ
عَلي خَامنئي، المُرْشَدَ الأَعلى، وَحَسَنَ رُوحاني، رَئيسِ الدَّولةِ، وَمَسْؤُولونِ آخَرونِ.

لا نَعْتَقِدُ أَنَّ "التَّغْريدَةَ" الَّلافِيتَةَ التي أَطْلَقَها الدَكتورُ عبدُ الخالِقِ عبدُ [] الذِي يُوصَفُ

بأنه أحد أبرز مُستشاري الشيخ محمد بن زايد، ولي عهد أبوظبي، ونَفَى فيها صِفَة الإرهاب عن هُجُومِ العَرَضِ العسكِرِيِّ، وأضْفَى عليه صفة المشروعِيَّة، جاءَت زلَّةٌ لِسَانٍ، وإنَّمَا بتَوَجِيهِ مُباشِرٍ ومَدْرُوسٍ من قِيادَتِهِ بالتَّسْنِيقِ مع نَظِيرَتِهَا السَّعُودِيَّةِ، وإلا يَتِمُّ حذْفُهَا بِسُرْعَةٍ كَوَسِيلَةٍ لِلتَّجَرُّؤِ مِنْهَا، وَزَجَّ صَاحِبُهَا فِي السَّجْنِ، وَلَكِنْ هَذَا لَمْ يَحْدُثْ.

نَشَّرَحُ أَكْثَرَ وَنَقُولُ بِأَنَّ الحَدِيثَ فِي المَجَالَاتِ العسكِرِيَّةِ لَيْسَتْ مَعِيدَانًا مَفْتُوحًا لِلاجْتِهَادِ أَمَامِ المُعَرَّبِ دِينَ العَرَبِ وَالخَلِيجِيِّينَ تَحْدِيدًا، وَكُلُّ كَلِمَةٍ مَحْسُوبَةٌ بِدَقَّةٍ وَعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ، وَمَوْحَى بِهَا، لِإِصَالِ رِسَالَةٍ مُحَدَّدَةٍ إِلَى أَكْثَرِ مَنْ جِهَتَهُ، فَالدُّكْتُورُ عَبْدِ اللَّهِ أَكَادِمِي سِيَاسِي، وَلَيْسَ نَاطِقًا عَسكِرِيًّا، لِيَقُولَ بِأَنَّ "نَقْلَ المَعْرَكَةِ إِلَى العُمُقِ الإِيرَانِيِّ خِيَارًا مُعْلَنًا وَسَيَزِدَادُ خِلَالَ المَرَحَلَةِ المُقْبِلَةِ"، انْطِلَاقًا مِنْ تَقْدِيرَاتِ شَخْصِيَّةٍ بِحَثَّةٍ.

بِالنَّظَرِ إِلَى مَا تَقَدَّمَ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْزِمَ بِأَنَّنا نَعْرِفُ الآنَ أَمَامَ حَرْبِ أَجْهَزَةِ اسْتِخْبَارِيَّةِ تَسْتَهْدِفُ العُمُقَ الإِيرَانِيَّ، تَأْتِي فِي إِطَارِ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ تُرَكِّزُ عَلَى تَجْنِيدِ بَعْضِ الأَقْلِيَّاتِ العَرَبِيَّةِ وَالعَرَفِيَّاتِ السُّنِّيَّةِ وَالأَزْدِيَّةِ وَالبلُوشِيَّةِ (تَفَعُّ مَعْظَمُهَا فِي جَنُوبِ شَرْقِ إِيرَانِ بِمُحَاذَةِ بَاكِسْتَانِ وَأَفْغَانِسْتَانِ وَتُمَثِّلُهَا مُنْظَمَةٌ جُنْدِ اللَّهِ السُّنِّيَّةِ المُتَشَدِّدَةِ)، عَلَى غِرَارِ مَا حَدَثَ فِي أَفْغَانِسْتَانِ إِبَّانَ الحَقِيقَةِ السُّوْفِيَّةِ، وَالتِّي انْتَهَتْ بِانْهِيَارِ نِظَامِ مُحَمَّدِ نَجِيبِ اللَّهِ الشِّيْعِيِّ.

رُبَّمَا مِنَ السَّابِقِ لِأَوَانِهِ القَوْلُ بِأَنَّ فُرْصَةَ هَذَا المُخْطَطِ مِنَ النَّجَاحِ كَبِيرَةٌ، فَالمُقَارَنَةُ بَيْنَ سُلْطَةِ الثُّورَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي إِيرَانِ وَالنِّظَامِ الشِّيْعِيِّ الأَفْغَانِيِّ غَيْرِ جَائِزَةٌ، وَفِي غَيْرِ مَحَلَّهَا، رَغْمَ أَنَّ الوَلَايَاتِ المُتَّحِدَةَ هِيَ رَأْسُ حَرْبَةٍ فِي المُخْطَطَيْنِ، وَالسَّعُودِيَّةُ هِيَ أَحَدُ أَبْرَزِ السَّلَاطِينِ فِي دَعْمِهَا مَالِيًّا وَعَسكِرِيًّا وَطَائِفِيًّا وَأَيْدِيولوجِيًّا، فَالْفَوَارِقُ هُنَا كَبِيرَةٌ جِدًّا، مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الزَّمَانَ تَغْيَّرَ أَيْضًا.

إِيرَانُ تَمَلُّكُ خَبْرَةٍ أَكْثَرَ عُمُقًا فِي الحُرُوبِ "الاسْتِخْبَارِيَّةِ" بِالمُقَارَنَةِ مَعَ المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ وَبَعْضِ حُلْفَائِهَا فِي مَنطَاقَةِ الخَلِيجِ (الكويت وقطر وسلطنة عُمان أدانت الهُجُومَ الدَّمَوِيَّ عَلَى العَرَضِ العسكِرِيِّ وَوصَفْتَهُ بِالإِرْهَابِ)، وَازدادَت هَذِهِ الخَبْرَةُ "عَمَلِيًّا" مِنْ خِلَالِ حُوضِ الأذْرَعَةِ الاسْتِخْبَارِيَّةِ الإِيرَانِيَّةِ ثَلَاثَ حُرُوبٍ بِشَكْلِ مُباشِرٍ، فِي ثَلَاثَةِ مِيادِينَ قِتَالِيَّةٍ هِيَ سوريَّةٌ وَالعِرَاقُ وَاليمَنُ ضِدَّ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ خُصُوصًا، وَبِصُورَةٍ غَيْرِ مُباشِرَةٍ فِي جَنُوبِ لِبْنَانَ وَقِطَاعِ غَزَّةِ، أَمَّا الخَبْرَةُ الاسْتِخْبَارِيَّةُ السَّعُودِيَّةُ، فَلَمْ تُخْتَبَرْ عَمَلِيًّا إِلَّا فِي دَوْلَتَيْنِ هُمَا اليمَنُ وَسوريَّةُ، وَجاءَتِ الإِنْجِازَاتُ "مُتَوَاضِعَةً" حَتَّى الآنَ عَلَى الأَوَّلِ، بِالنَّظَرِ إِلَى النِّتَائِجِ.

إِيرَانُ تُوَجِّهُ، وَمُنْذُ ثَلَاثِينَ عَامًا، تَدخُلَاتٍ خَارِجِيَّةٍ، وَثَوَرَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ، وَحَرَكَاتٍ انْفِصَالِيَّةٍ مَعَ الجَارِ العِرَاقِيِّ، وَكَانَ لِافِتْنَةٍ أَنْ الانْهِيَارَ لَمْ يَكُنْ أَحَدَ الأَخْطَارِ الَّتِي تُهَدِّدُ نِظَامَهَا فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، بَلْ إِنَّهَا تُصْبِحُ أَكْثَرَ قُوَّةً وَصَلَابَةً، وَتَخْرُجُ مِنْ إِنْجَارِ عَسكِرِيِّ

الرئيس ترامب يُريد تَورِيط المملكة العربيَّة السعوديَّة وحُلُفائها الخَلِيجيين، وبعض السُّنَّة العربيَّة، في حربٍ "إرهابٍ" استخباريَّةٍ خَطِرةٍ ضدَّ إيران، تَسْتَنزِلُها ماليًّا أوَّلاً، وقد تُهدِّدُ أمانَها الداخليَّ ثانيًّا، فيه، أي السعوديَّة، وقد تحتاج فيه إلى الاستمرار بالنَّظرِ إلى المرحلة الانتقاليَّة "الحادَّة" التي تَمُرُّ بها حاليًّا في العَهْدِ السِّلْمانيِّ، فمِثْلما هُنَاك أدوات يُمكن أن تُوطَّأَ فيها المملكة بتَحْرِيفِ أمريكيٍّ لِزَعَاةِ استقرارِ إيران، فإنَّ هُنَاك أدوات وطُرُق أُخرى يُمكن أن تَسْتخدِمها إيران أيضًا، ويَكفي إلقاء نظرة سريعة على ما حَقَّقته الأذرع الثوريَّة والسياسيَّة والعسكريَّة الإيرانيَّة في الجِوارِين العراقيِّ والسوريِّ، بالإضافة إلى الجارِ اليمنيِّ البعيد، الذي يتصدَّى لحربٍ ربِّما تكون الأطول في تاريخه.

المُشكلة في تَقديرنا لا تَكْمُن في وَصفِ الهُجُوم على العَرَضِ العسكريِّ في الأهواز بالإرهاب أو عَدَمِهِ، وإنَّما في التَّبيِّحات التي يُمكن أن تترتَّب عليه، إذا بدَأنا نَدخُلُ مرحلة التَّسَوُّرِ في "الحرب الاستخباريَّة" التي أبرَز عناوينها "الإرهاب" والإرهاب المُضاد، في وَقتٍ تَلَجَأُ الدُّوَل إلى الحوارِ لحَلِّ أزماتها فيها هُما زعيما الكوريتين الشماليَّة والجنوبيَّة يتفاوَّضان لإنهاءِ حربٍ استمرَّت سَبْعين عامًّا تقريبا، وكادَت أن تتحوَّل إلى حربٍ نوويَّةٍ.

أمريكا تَلْعَب بالنَّار في حُرُوبها الاستخباريَّة والاقتصاديَّة التي أشْعَلَت فتيلَها في المِنطَقة وبتَحْرِيفِ إسرائيليِّ، ولكن المُفارقة أنَّ أصابع السعوديَّة، وربِّما دُوَلٌ أُخرى هي الأكثر عُرضَةً للاحتراق.. وربِّما التَّسَفُّحُ.. والاعْلَامُ.